قصة الإيثار

تأليف: سيد مهدي شجاعي
ترجمة: علي موسوي

موسسة الزهراء

موسسة الزهراء

مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة

اسم الكتاب: قصة الإيثار (من سلسلة مع المعصومين ـ بالإعتماد على نبذة من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام)

تأليف: سيد مهدي شجاعي

ترجمة: علي موسوي

رسوم: امير نساجي

الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ.ق.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

هاتف: ٨٨٢٢٢٤٤ ـ فاكس: ٨٨٢١٣٧٠(٠٢١)

تلكس: BSAT.IR ٢١٢٠٨٠ ـ صندوق بريد: ١٣٦١ ـ ١٥٨١٥

حقوق الطبع محفوظة

شابک X ـ ٠٢٣ ـ ٣٠٩ ـ ٩٦٤ ISBN 964 - 309 - 023 - X

بسم الله الرحمن الرحيم

اطبق صمت ثقيل على المدينة... ولاذ الناس ببيوتهم إلتماساً للراحة بعد يوم من العمل والسعي الدؤوب...

السماء تزينت بنثار من النجوم المتلالئة... ومنازل المدينة الطينية لبست ستارة حريرية رقيقة من نور القمر الواني الضعيف...

واستبد الصمت بالمدينة، حتى لم يعد يذّكر بوجود الحياة فيها، الاوقع خطوات رتيبة، راحت تقترب من بيت علي(ع).

لم يكن الزائر في هذه الساعة من الليل، غير رسول الله(ص) يرافقه اثنان من اصحابه...

ولم يكن خافياً الاهتمام الذي بدأ على محياه(ص)... فقد كان للنبأ الذي نقل اليه عن حال الحسن والحسين وقع خاص، وهو ما اهم صاحبيه واقلقهما، ذلك انهما يعرفان مدى الحب الذي يكنه(ص) للحسنين...

ويعرفان ان الحب ذاك لم يكن حباً ذاتياً، دافعه العاطفة الخالصة التي تشد محمد(ص) إلى حفيديه، بل انه حب املته الرسالة التي يصدر عنها الرسول في كل حركة وسكنة، قول او فعل، حب او بغض... وراحا يستعيدان الكثير من الاحاديث التي قالها النبي(ص) على مسامع المئات من المسلمين: «الحسن والحسين ابناي فمن احبهما احبني، ومن احبني احبه الله.» او «اللهم اني أُحِبُّهُما فأَحِبَّهُما.».

وصل الرسول(ص) وصاحباه إلى بيت علي(ع)...

وتردد صوت محبب وجميل، هو صوت النبي(ص) في ارجاء الدار:

علي.. فاطمة.. السلام عليكما... جئت لعيادة ابنيّ.. معي ضيفان، هل تسمحا لنا بالدخول...؟!

ولبى علي وفاطمة كلاهما نداء النبي(ص): وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا رسول الله... الدار دارك... حللتم اهلاً ونزلتم سهلاً... على الرحب والسعة...

وعبق اريج زكي من النبي(ص) قبل ان يلج ورفيقاه الدار...

ولكن ..! مالذي جرى..؟! ..كان سماع صوت النبي(ص) وحده كافياً، لان يجعل الحسن والحسين يهرولان وبشوق لا يوصف، نحو جدهما، ويتعلقان به... يلقيان انفسهما بين احضانه، ويتحسسان دفأ حنوه(ص) وهو يوزع قبلاته بين وجناتهما، وعيونهما، وشفاههما، ورأسيهما...

أجل... الحسن والحسين طر كان الليلة فى فراش المرض... ولم يعودا يملكان القوة على النهوض- والحركة...

ولدى سماعهما صوت النبي(ص) المفعم بالحنان والدفء، فتحا عيونهما بصعوبة واقبل(ص) عليهما بشوق ولهفة... وراح يغرق وجناتهما بقبلاته المتعطشة الحارة.

عزيزيّ مالذي جرى؟! لا اراكما الله مكروها...

لف الحسن والحسين ذراعيهما حول رقبة جدهما وهما يحتضنانه

مع ان الدار كانت دار اكبر قائد في الجيش الاسلامي، والشخص الذي يحتل المركز الثاني بعد النبي(ص) الا انها كانت تخلو من اي شيء يمكن ان يقدم للضيوف. لقد كان علي يعتذر، ان لم يكن لديه ما يقدمه اكراماً لضيوفِهِ غير ان النبي ورفيقيه يعلمون، ان فقر علي، مفخرة لعلي... ومدعاة لسمو منزلته لدى الرسول، وفي دنيا الإسلام. يعلمون لو ان علياً يرغب في الترف والسعة في

العيش، لاستطاع ان ينال ذلك بيسر... ولكنه النهج العلوي في الحياة. ولهذا... فقد كان الزوار يستَقبَلونَ بمشاعر الحب والترحيب الحار، من قبل صاحب الدار وحسب.

وقبل ان ينهض النبي(ص)، التفت إلى علي وقال: الا تنذر لله من اجل شفاء هذين العزيزين ؟

رد علي من دون ابطاء:

بلى يا رسول الله. نذر عليّ، اذا شفى الله ابنيّ هذين، ان اصوم ثلاثة ايام متوالية.

وانا سأصوم ثلاثاً، نذراً لله. قالت فاطمة.

شخص الحسنان بعيونهما المتعبة إلى جدهما، وقالا بصوت واحد: ونحن نصوم ثلاثاً...

انحنى الرسول عليهما واخذ يقبل شفاههما.

فضة... هذه المرأة التي خدمت ام النبي(ص)، والتي تطوعت للعيش في هذه الدار إلى جنب فاطمة، لتكون لها رفيقة ومؤنسة، وتتلقى على يديها دروس الحياة في ظل الايمان ... فضة هذه، تقدمت هي الاخرى لتعلن رغبتها بالنذر لله تعالى، صيام ثلاثة ايام فى حال شفاء الحسنين.

لم تمض فترة طويلة على هذا النذر، حتى تماثل الحسن والحسين للشفاء بفضل الله. وغادرا فراش المرض، بعد ان دب النشاط والحيوية في جسميهما.

وحان موعد الوفاء بالنذر...

وهكذا... فقد اصبح الصباح على اهل البيت، وهم صائمون.

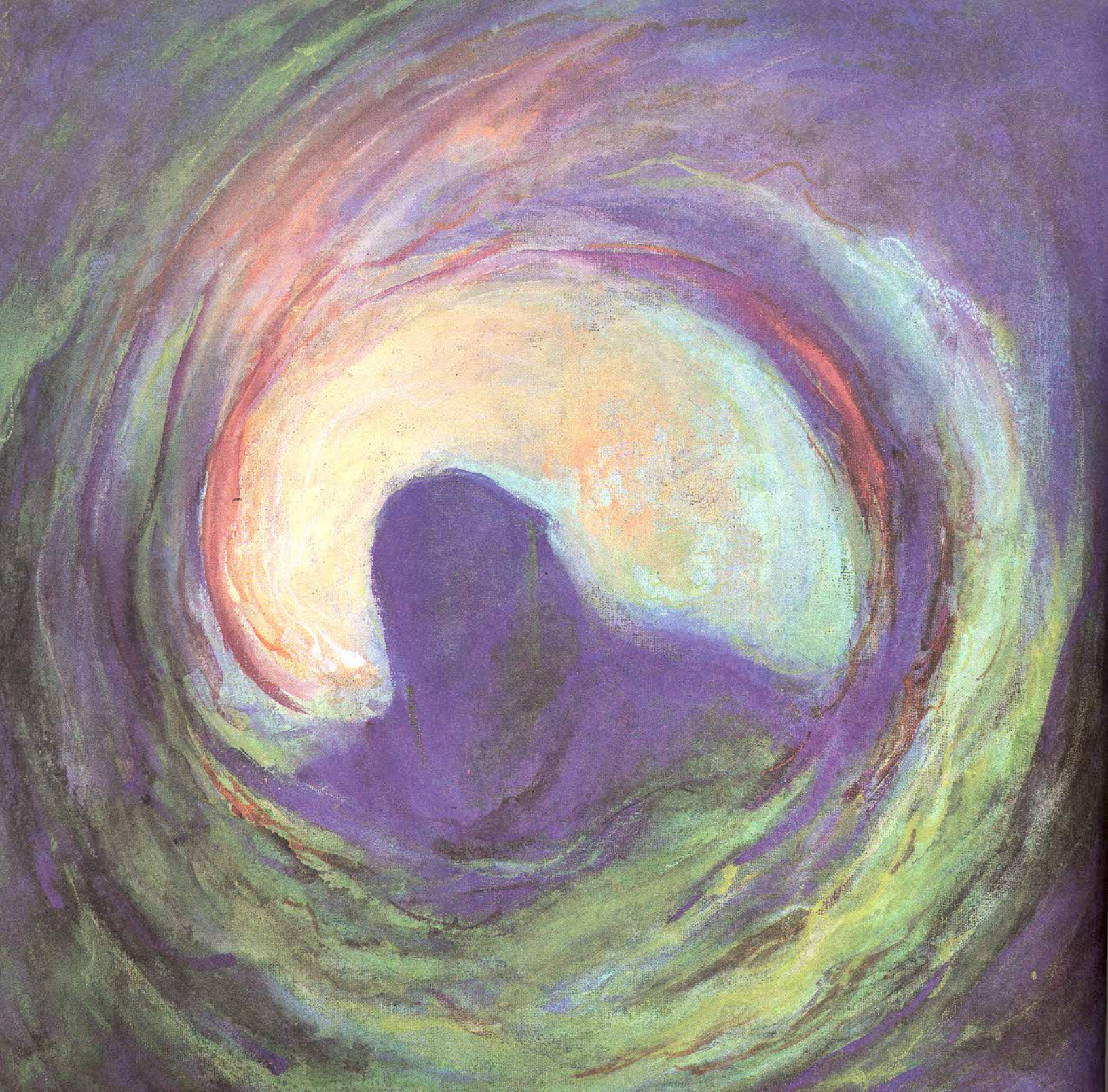

وبحلول اصيل ذلك اليوم... نهضت فاطمة ومعها فضة لاصلاح طعام الافطار...

لم يكن في البيت غير مقدار من الشعير... فكان لابد من طحنه وعجنه، ومن ثم انضاجه في النار.

وبسط خوان الطعام... ووضعت عليه خمسة ارغفة من الخبز، وكوز من الماء... وتطلعت العيون لعودة علي من المسجد، حتى يتناولوا افطارهم معاً. وبعد انتظار لم يطل... جاء علي واخذ مكانه من المائدة... ثم تحلق الجميع حولها.

وطرق مسامعهم ـ ولما تمتد الايدي للطعام بعد ـ نداء يقول:

يا اهل بيت النبوة...! يا آل الرسول! فقير... محتاج ببابكم... اطعمونا، اطعمكم الله من طعام الجنة!... ساعدوني انا وعائلتي الجائعة!

ولم يتم الرجل كلامه، حتى قام علي(ع) وقد حمل رغيفه بيديه، فامتدت يد فاطمة برغيفها تضعه في يد علي، وهكذا فعل الحسنان وفضة.

وحملت الارغفة الخمسة ـ اي المائدة التي اعدتها العائلة الصائمة لافطارها ـ لتعط للرجل الفقير.

ولم يبق على الخوان، إلا الماء... فأفطروا بشربة منه، وحمدوا الله.

وطوي الخوان الخالي، كما طويت الاحشاء على الجوع.

وانقضى الليل... واشرقت شمس اليوم الثاني على القوم، وهم صيام...

تمر ساعات النهار، طويلة صعبة، تشتد فيها الوطئة على الصائمين فيلجأوون إلى كؤوس الصبر يتجرعونها... وتجف افواههم من شدة العطش فيرطبونها برشفات من الذكر...

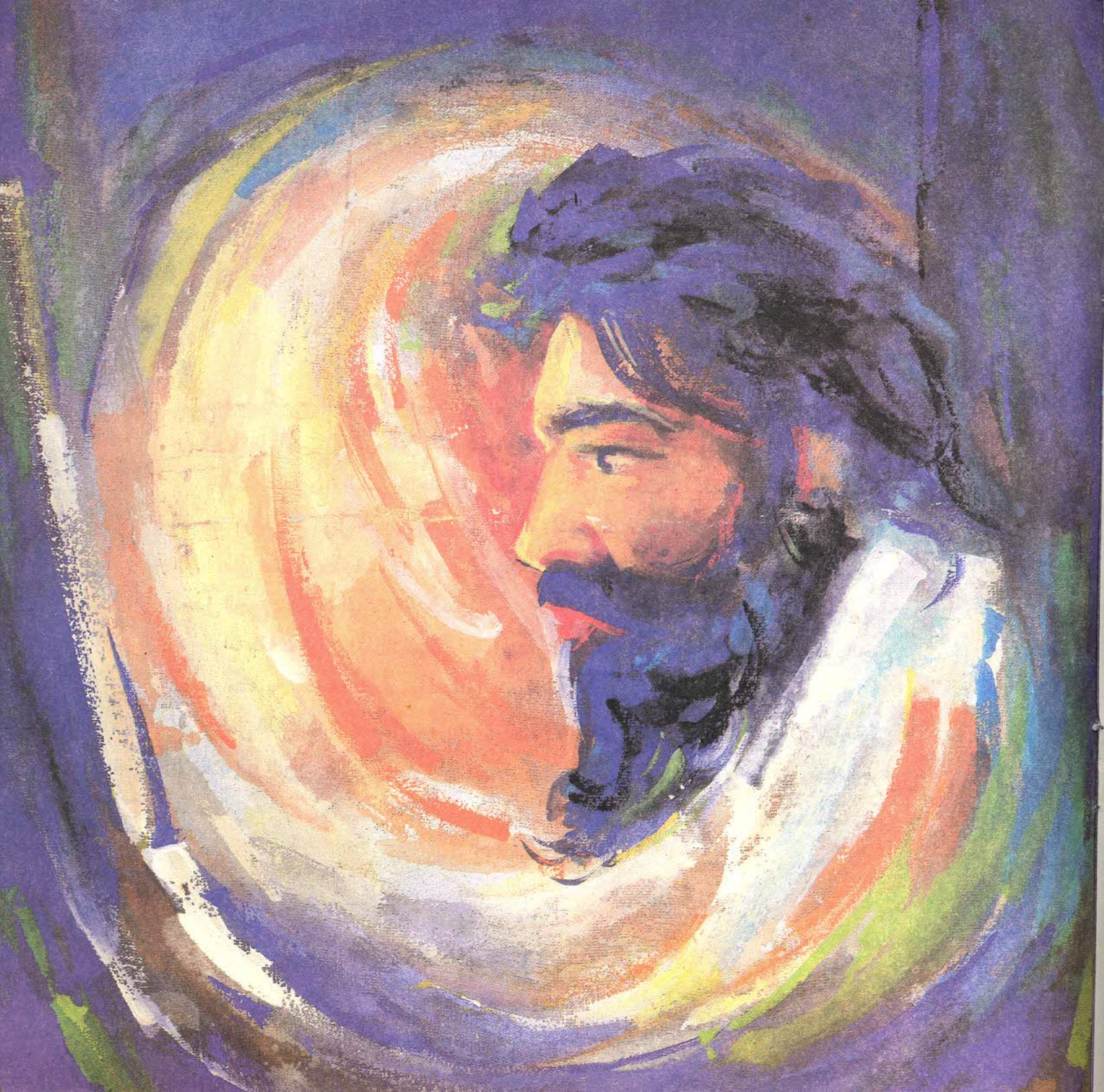

ومع جنوح الشمس للمغيب... تتوالى طرقات على الباب، تخللها صوت يقول: السلام عليكم يا اهل البيت النبوي، انني طفل يتيم، وليس عندي ما اتقوت به، فاعينوني!

امتدت من وراء الباب يد حاملة ارغفة الخبز ـ التي انضجت تواً ـ لتسلمها لليتيم مع كلمات الترحيب والدعاء... وبل الصائمون ريقهم بالماء ولا شيء غيره...

مثل علي الرجل الذي يخوض الاهوال والمصاعب، ويغوص في لهوات الحرب، ليس تحمل الجوع ـ بالنسبة اليه ـ بالامر العسير...

اما طفلان ناقهان (تماثلا للشفاء قريباً) او امرتان ضعيفتان... كيف لهم ان يتحملوا ثقل الجوع ليومين متتاليين... دون ان يمضغوا لقمة واحدة...

لعل الليل يتكفل بتحمل بعض معاناة الجوع والعطش... ولعلهم وجدوا شيئاً من الراحة في الاخلاد إلى النوم... غير ان النهار اطل من جديد... ليتركهم امام الشوط الاخير من رحلة الجوع هذه...

...امامهم صيام بقية يومهم ذاك... حتى يتم استيفاء النذر كاملاً غير منقوص. يجب عليهم تحمل معاناة الجوع، حتى يحين وقت الافطار... ليتبلغ كل واحد منهم، برغيف من خبز الشعير، منهين بذلك سغب الايام الثلاثة.

وبدأت الاستعدادات لاصلاح الطعام...

كانت الايدي ترتجف من شدة الجوع... عيون الحسنين الصغيرين ذبلت، ولم تعد بهما قدرة على الحركة او الوقوف.

ورجع علي من المسجد... وامتد الخوان بطعامه المعهود...

لهم الله... كيف امضى افراد هذه الاسرة ثلاثة ايام جائعين...

وجّر الحسن والحسين نفسا هما إلى جانب الخوان...

السلام عليكم يا آل محمد... اسير تجرع كظات الجوع، يأمل احسانكم... وتكرر النداء الذي انطلق فجأة عند الباب...

لايمكن تصور الايدي، وهي تمتد للامساك باللقمة... ثم ترتد... تبقى مقبوضة للحظة ثم تنبسط مرة اخرى لتضم الارغفة إلى بعضها، وتقدمها لجائع آخر...

عجباً... ايام ثلاثة لم تقتت فيها شيئاً... اللهم الا السغب... ترى ما الذي يبقي الدم متدفقاً في عروق هذه الاسرة، التي امضها الم الجوع...؟!

ليس هو غير شيء واحد... الشعور بلذة العطاء في سبيل الله، والايثار إلى جنبه... ففي الوقت الذي هم في مسيس الحاجة اليها... يمدون يد العون إلى الآخرين... ينتزعون اللقمة من افواههم الجائعة، ليمنحوها ـ بطيب خاطر ـ لجائع آخر...

الله وحده العالم بقدر هذه التضحية وقيمتها.

وينظر علي(ع) إلى وجهي ولديه الشاحبين... ويتأمل مع نفسه: رؤيتهما رسول الله(ص) ستمسح عنهما الالام، وتنسيهما الجوع...

قوما لزيارة جدكما... هتف علي(ع).

وينهض الحسنان سراعاً، شوقاً للقاء النبي(ص) ويأخذ الثلاثة طريقهم إلى داره(ص).

هيئة الحسن والحسين وهما يدخلان عليه بتلك الحالة من الضعف، اثارت في رسول الله(ص) مشاعر الشجن والالم... واغرورقت عيناه بالدموع...

كيف بي وانا ارى طفليّ على هذا الحال...

الهي... انك ترى مايفعله آل رسولك، طمعاً في رضاك...

ويتمهل قليلاً... ثم يعود اليهما بالخطاب... قوموا يا احبتي، لنر عزيزتي فاطم... كيف امضت هذه الايام الثلاثة...

فاطمة التي ذوت عيناها... وكأن شعلة الحياة قد خبت فيهما... واصابها الوهن والضعف... حتى كادت تخونها القوة على الوقوف؛ لم تنصرف ـ رغم ذلك ـ عن صلاتها...

ودخل عليها ابوها(ص)... فاحتضنها... احتضن عزيزته فاطمة وبكى...

من الذي يقدر على رؤية هؤلاء الاعزة عند الله بهذا الحال... ولايعتصر فؤاده الالم...؟!

وفجأة عبق اريج سماوي... ماذا؟! ... انه امين الوحي جبرائيل...

وتمر لحظات من الصمت والترقب والانتظار...

ثم يطفح البشر على وجه النبي(ص) وهو يرتل الايات الشريفة التي نزلت عليه آنفاً: ﴿انَّ

الابرارَ يشربونَ من كأسٍ كانَ مزاجُها كافوراً * عيناً يشربُ بها عبادُ اللهِ يفجرونها تفجيراً * يوفونَ بالنذرِ ويخافونَ يوماً كانَ شرُّهُ مستطيراً * ويطعمونَ الطعامَ على حبِهِ مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنما نطعمُكُمْ لوجهِ اللهِ لا نريدُ منكُمْ جزاءً ولا شكوراً * إنا نخافُ مِنْ ربِنا يوماً عبوساً قمطريراً * فَوَقيٰهم اللهُ شرَ ذلكَ اليومِ ولقّيٰهُمْ نضرةً وسروراً * وجزيٰهم بما صبَروُا جنةً وحريراً * مُتّكئينَ فيها على الأرائِكِ لايرونَ فيها شمساً ولا زمهريراً * ودانيةً عليهِمْ ظِلالُها وذللّت قطوفُها تذليلاً * ويُطافُ عليهِمْ بآنيةٍ من فضةٍ وأكوابٍ كانتْ قواريرا * قواريرَ من فضةٍ قَدَّروها تقديراً * وَيُسقوْنَ فيها كأساً كانَ مزاجُها زَنْجبِيلاً * عيناً فيها تُسمّى سلسبيلاً * وَيطوفُ عَليهِمْ وِلدانٌ مخلّدون اذا رأيتَهُمْ حَسِبتَهُمْ لُؤلُؤاً منثوراً * وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نَعيماً وملكاً كبيراً * عالِيَهُمْ ثيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وإستَبرقٌ وحُلّوا اساورَ مِن فِضةٍ وسَقيٰهُمْ رَبّهُمْ شراباً طهوراً * إنَّ هذا كان لكُمْ جزاءً وكانَ سعيُكُمْ مَشكوراً *﴾

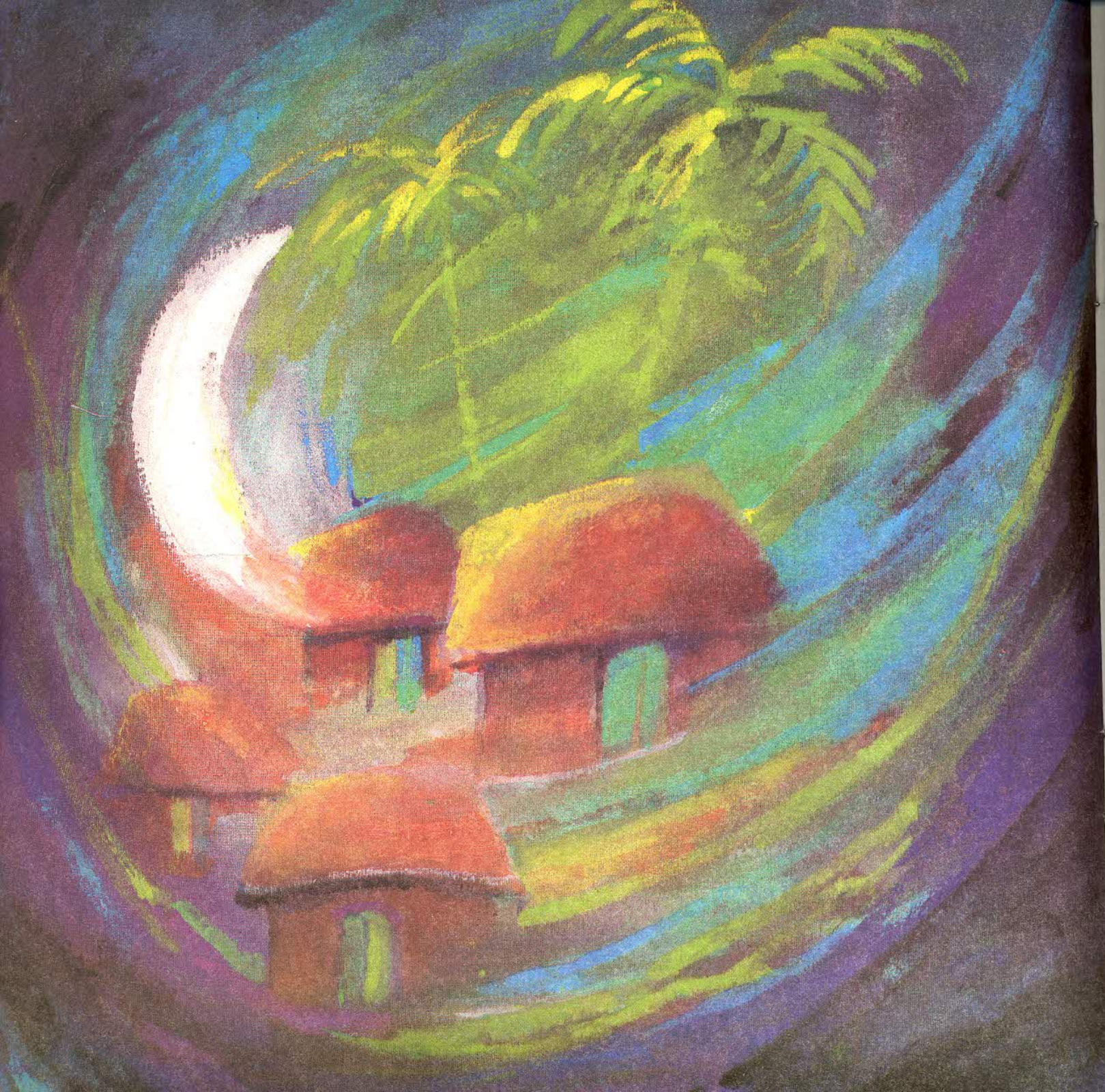

وفي غمرة فيض النور القرآني... وانفاس الرسول(ص) القدسيةِ غاب عن الجميع الاحساس بالجوع... بل استشعروا نشاطاً وغبطة...

وسجدوا شكراً لله على هذه الكرامة التي حباهم بها.